مجلة
الجنس اللطيف

السنة الثالثة | العدد الخامس | ٥ نوفمبر ١٩١٠

في الزوايا المظلمة

في مصر — كما في غيرها من البلدان — هوان تسقط
فيها المرأة ولا تجد من ينهضها

بين الجنس اللطيف والجنس الكثيف حرب شديدة بدت طلائعها في أوائل العصور المتوسطة وحمى وطيسها في اوائل هذا القرن . وسببها راجع في الاصل الى استبداد الرجل واستئثاره بالسلطة في سائر الشؤون الاجتماعية وحرمانه المرأة كثيراً من حقوقها الطبيعية . فقد تعاقبت القرون وانطوت الأحقاب والمرأة صبور على أمرها الى أن قام أحد المصلحين الاجتماعيين وجاء بكرازة جديدة فقال ان الله لم يخلق حواء من رجل آدم فيدوسها ولا من رأسه فتتعلو عليه بل من ضلعٍ من صدره لتكون مساوية له قريبة من قلبه .

على أن الرجل أصمّ أذنيه عن سماع هذه الكرازة وظل متصاما الى أن نهضت المرأة من سباتها فاخذت تكافحه في سائر شؤون الحياة .

فهي اليوم تزاحمه في أميركا على أعماله وفي انكلترا على سياسته وفي فرنسا على حديثه

ولقد كان لهذه الحرب نتائج سيئة لم تكن بالحسبان لان ناموس تنازع البقاء لعب دوره باتقن تفاصيله . فاضطرت المرأة المسكينة أن تلجأ الى القيام باعمال لم تكن تخطر لها ببال . وبلغ الامر بكثيرات ان انحدرت الى مهاوي فسادٍ لا قرار لها . والغريب انك تجد تلك المهاوي على أكثرها وأعمقها في البلدان التي تبلغ فيها المدنية أشدّها . وقد بدأت مصر تنال نصيبها منها فقد كثرت فيها المحالّ التي تأوي اليها البنات للارتزاق وما هي الا بالوعات يتمرّغ فيها في حمأة الرذائل ويقلن على الادب السلام

اذهب الى المخازن الكبيرة في القاهرة تجد فيها جيشا جراراً من الفتيات العاملات يأوين اليها بقصد الارتزاق . ولكن وراء تلك الحجة مشاهد تحمر لها الوجوه خجلاً . فكم من الشبان المسترسلين في اهوائهم تراهم اذا قرعت الساعة الثانية عشرة قصدوا تلك المخازن وانتظروا خارج أبوابها ريثما تخرج رفيقاتهم فيضع الواحد منهم يده بيدها ويسير بها الى حيث ينحدر بها خطوة أخرى الى هاوية الشقاء

أن سقوط المرأة راجع في الاصل الى المزاحمة الشديدة بينها وبين الرجل . فلو كان الرجل يخفف قليلاً من غلوائه واستبداده ويعامل المرأة باحسن مما تعامل بها الآن لكان العالم أسعد مما هو اليوم . ولكنه جبار مستبد فهو يطرد حواء ليتمتع وحده بالفردوس

ليس المراد مما تقدم أن المرأة الساقطة بريئة في سقوطها وانما نقصد

أن نبين أن الرجل ملوم أكثر منها على ذلك السقوط لان مزاحمته لها واستبداده بشؤونها وحرمانه اياها لقمة الخبز وغير ذلك من الامور الشائنة لعلل يؤاخذ عليها وسوف يدان من أجلها — ومن شدّ وتر القوس فاما أن يقطع الوتر أو يكسر القوس .

خذ الفقر مثلا . الفقر عامل كبير على سقوط المرأة . فانها تجد نفسها في ضنك من العيش وترى أبواب الرزق موصدة في وجهها ولشدة جهلها تطرح شرفها وتبيعه لمن يفرج عنها عسرها

ان في مصر اليوم زوايا مظلمة تحمرّ لها الوجوه خجلاً وحياء . وشبابنا يزيدون في تلك الظلمة بدلا من أن يحاولوا تخفيف وطأتها . أو ليس الكثيرون منهم ينفقون ما ورثوه واكتسبوه من مال وثروه على شهواتهم فيبددون بذلك ثروتهم ويضنون أنفسهم ويزيدون في شقاء المرأة المسكينة أليس من علامات التأخر والانحطاط ان نرى أغنياءنا يجازفون باموالهم بينما هم يمتنعون عن التبرع بجزء يسير من تلك الاموال في سبيل البر والاحسان ؟

أيها المصلحون الاجتماعيون ! ان كنتم قد وقفتم أنفسكم على خدمة الهيئة الاجتماعية فلا يفتكم ان خير البرّ ما كان في سبيل الضعيف وان أحسن ما تخلدون به أسماءكم على صفحات التاريخ أن تمدوا أيديكم لانتشال المرأة الساقطة من الهاوية التي هي فيها وان تحاولوا هدم تلك الزوايا المظلمة وتشييد معالم النور والمدنية على اطلالها . انكم تنشئون جمعيات للرفق بالحيوانات . أوليست المرأة أهم في نظر الله من تلك العجماوات حتى تتناسوا

أمرها وتهملوها في هاوية الهلاك ؟

وأنتم أيها الاطباء . انكم تحاولون شفآء الافراد ولكنكم تطيلون أعمارهم فتمدون في آلامهم . وكان أولى بكم أن تعالجوا أمراض الهيئة الاجتماعية وادواءها قبل أن تحاولوا شفاء الافراد . ألسنا نئنّ من الآلام الاجتماعية الملمة بنا الضاربة أطنابها ما بيننا ؛ أليست عظام آبائنا وأجدادنا تتململ في قبورها من مصائب أنتم أدرى باسبابها وأعلم بمواضعها ؟

وأنتم أيها الكتاب لقد جرت أقلامكم وبلغ صريرها مسامع الاجيال المستقبلة وسكان الكواكب السابحة في هذا الفضاء . لم تبقوا كلمة لم تقولوها في المرأة ولكنكم لم تحاولوا أمراً في سبيل انتشالها من وهدة حفرتموها لها أنتم وآباؤكم منذ اليوم الذي فيه فتح الله لكم مسارح عدن الى الساعة التي طردتم فيها حواء من الفردوس .

سلوا اطلال سدوم وبابل وبقايا بومباي ورومية وضفاف النيل والتيبر . سلوا أهل هاتيك المدن وبقاياهم في القبور تجبكم أصواتهم من وراء الابدية انهم لم ينحطوا الا لانحطاط المرأة ولا سقطوا الا لسقوط المرأة ولا هلكوا الا لهلاك المرأة . أو ليست لكم عبرة بمن سلفوكم تزدجرون بها وتشفقون ان لم يكن على المرأة فعلى أنفسكم وأنفس أولادكم ؟

وأنتم أيها الاغنياء . انكم تنفقون لياليكم في مسارح باريس ودنانيركم على مونت كارلو وقط لم تجودوا بما يسد رمق المسكينة المنكودة الحظ ولا تبرعتم بشيء مما تمتلكونه في سبيل البر والاحسان . أليس الأجود بكم أن تنفقوا الاصفر في السبيل الأبيض فتنالوا شكراً من الانسان وأجراً من عند الله

لو كنت مثرية لوقفت الجانب الاكبر من ثروتي لانشاء معهد يضم اليه أولئك اللواتي قال عنهن دوماس انهن لسن عذارى ولا أمهات ولكنهن هبطن من عدن باغراء آدم . ان الهيئة الاجتماعية اني أشد حاجة الى مثل هذا المعهد لكي تأوى اليه المرأة الساقطة وتكتسب فيه معيشتها بطريقة محللة شريفة ويا حبذا لو يقوم أغنياؤنا ويؤلفون شركة لاخراج هذا المشروع الى حيز العمل فان مصر — وهي واحدة من بلدان كثيرة — في حاجة الى مشروع كهذا ان لم يكن حباً بالمرأة فرفقاً بآداب الناشئة المترعرعة

وانني ألوم صحفنا ومجلاتنا أشد اللوم لانها تهمل الكتابة في موضوع مهم كهذا وتتمسك بأهداب التحزبات الجنسية . وان من اعراض انحطاط الامم وسقوطها ان تنقسم على ذاتها فمتى أطرحت مصر هذه التحزبات وصرفت اهتمامها الى ما هو أسمى منها من المسائل الاجتماعية جاز لها حينئذ ان تعلل نفسها بقرب اليوم الذي تخلد فيه لها صفحة بيضاء في تاريخ العالم .

لا تفاضل بين الجنسين

لا تغني اليمين عن الشمال ولا تطول الشمال على اليمين وليس في هذا الخلق شيء يغني غناء سواه . المرأة مثل الرجل والرجل نظير المرأة وبكليهما يكون استمرار النوع في المدى والآباد . ولا يقف الامر عند هذا الحد ولا يقنع العدل بهذا القدر . بلى ان للأنفس لرغائب تفتأ في طلابها او